

للشعراء ، بل لا يزيد على أن يلفت الانتباه إلى العنق العميق بين الشعر المسرحي وكل الأنواع الأخرى من الشعر : إنه الفرق في الموسيقى الذي هو فرق في العلاقة باللغة المنطوقة الشائعة ، وهو يؤدي إلى نقطتي التالية : وهي أن مهمة الشاعر ستختلف ، لا وفقاً لتكوينه الشخصي فحسب ، بل تبعاً للفترة التي يجد نفسه فيها ، ففي بعض الفترات تكون المهمة اكتشاف الإمكانيات الموسيقية لتقليد راسخ حول العلاقة بين التعبير الشعري والتعبير اللغوي ، وفي فترات أخرى تكون المهمة إدراك التغيرات في اللغة الدارجة ، تلك التغيرات التي هي في الأساس تغيرات في الفكر والإحساس وهذه الحركة الدائرية لها أيضاً تأثير كبير جداً على الحكم النقدي . ففي عصر كمصرنا ، حيث مسّت الحاجة إلى إنعاش للأسلوب الشعري مشابه لذلك الإنعاش الذي حققه ووردز وورث ( سواء تحقق بصورة مرضية أم لا ) نميل ، في حكمنا على الماضي ، إلى المبالغة في تقدير أهمية المجددين على حساب سمعة المطوّرين .

وأظن أنني قلت ما يكفي لأوضح أنني لا أعتقد أن مهمة الشاعر هي في المقام الأول ، ودائماً ، إحداث ثورة في اللغة . إذ لن يكون من المرغوب فيه ، حتى لو كان ممكناً ، أن يعيش المرء في حالة ثورة دائمة ، فالتعطش إلى الجذبة المستمرة في الأسلوب والعروض أمر غير صحي شأن التشبث العنيد بأسلوب أجدادنا . فهناك عصور للاكتشاف ، وعصور لتطوير الأقليم المُفتتح . والشاعر الذي قدّم للانكليزية أكثر ممن عداه هو شكسبير ، وقد نهض ، في عُمرٍ قصير واحد ، بمهمة شاعرين . ولا أستطيع هنا إلا أن أقول ، باختصار ، إن تطور شعر شكسبير ، يمكن أن يقسم بشكل تقريبي ، إلى فترتين . فخلال الفترة الأولى ، كان يقوم ، رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، بتكييف أسلوبه مع اللغة الدارجة : بحيث إنه في الوقت الذي كتب فيه « أنطونيو وكليوباترة » كان قد هباً لنفسه وسطاً يمكن خلاله أن يقال كل شيء يمكن أن تُضطر إلى قوله أية شخصية مسرحية ، سواء أكانت رفيعة أو وضيفة ، وسواء أكان القول « شعرياً » أم « نثرياً » ، بصورة طبيعية وجميلة . ولما وصل إلى هذه النقطة ، بدأ يطوّر . فالفترة الأولى — للشاعر